وكان الرهان على «التوازن الاميركي» خاسراً؛ إذ أن واشنطن لم توازن بين «أصدقائها» العرب واسرائيل، بل على العكس من ذلك، فقد انحازت أكثر إلى اسرائيل، بفعل تصاعد قوة حلفاء هذه الأخيرة على الساحة الأميركية. ففي النصف الثاني من ولاية كارتر، جنح ميزان القوى في واشنطن لصالح المجمع الصناعي ــ الحربي وممثليه في المؤسسة الأميركية الحاكمة، مما انعكس في غلبة البنتاغون على وزارة الخارجية في تحديد معالم السياسة الاميركية، حيث عادت «العسكرتارية الاميركية» والتقطت أنفاسها بعد هزيمتها في فيتنام وطغت على المؤسسة الحاكمة في واشنطن. وكان من نتائج هذا الصعود في قوة «العسكرتارية» الاميركية وامتداداتها نجاح ريغان في الانتخابات الأخيرة هناك، وبالتالي وصول حلفاء اسرائيل الحقيقيين إلى السلطة في واشنطن. وقد التقط السادات هذا التطور على الساحة الاميركية، فسارع إلى فك الارتباط بالتضامن العربي والخروج من مظلة النفط السعودية فالقفز إلى عربة «العسكرتارية» الاميركية. وهكذا أصبح السادات في الخندق نفسه مع اسرائيل وغاص في سياسة الأحلاف العسكرية في المنطقة. ولقد لعب سقوط نظام الشاه في ايران دوراً مركزياً في وضع السياسة الأميركية على هذه «السكة» وارتباط السادات بعجلتها. وتجدر الاشارة هنا، إلى ان إنجاز الصفقة بين نظام السادات واسرائيل قد تمَّ على يد وزير الحرب الأميركي آنذاك، هارولد براون، وليس بفعل «وساطة» وزير الخارجية، سايروس فانس.

غير أن عبور السادات إلى خندق اسرائيل لم يكن يعني أن هذه تقبل ٢٠ شريكاً متكافئاً، وعلى قدم المساواة، معها في التشكيل السياسي ــ العسكري الجديد الذي أرادت واشنطن إنشاءَه في المنطقة تجسيداً لـ«مبدأ كارتر». وقد زاد الطين على السادات بلة أن عبوره هذا وقع في مرحلة كان الجناح التنقيحي، بزعامة مناحيم بيغن، يقود العمل الصهيوني ويتولى السلطة في اسرائيل. ففوق الاعتراف بشرعية قيام اسرائيل والقبول بخصوصية علاقتها بالولايات المتحدة، وبالتالي الركون إلى موقعها المتميز في التشكيل السياسي ــ العسكري الجديد، كانت حكومة بيغن تريد كفَّ يد السادات عن التدخل في مسألة تقرير مستقبل المناطق الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، والسكوت على ممارسات سلطات الاحتلال الصهيوني الهادفة إلى ضم تلك المناطق عبر مشروع بيغن للادارة الذاتية. أي أن بيغن أراد «كلاهما وتمرة»، وكان له ما أراد بسبب تكالب السادات على الانخراط في سياسة الأحلاف الاميركية في المنطقة. وهذا ما يفسر مسار المفاوضات، صعوداً وهبوطاً، بين نظام السادات وحكومة بيغن، وبرعاية الولايات المتحدة، منذ اتفاقية سيناء الثانية، وخاصة في الفترة ما بين «مبادرة السادات» إلى زيارة القدس وتوقيع «المعاهدة المصرية ــ الاسرائيلية». واليوم، وقد جاء دور السعودية، تعمل حكومة بيغن على تقزيمها أسوة بما فعلت بالسادات. وليست مبادرة ولي العهد السعودي، فهد، من جهة، واعلان «التعاون الاستراتيجي» بين اسرائيل والولايات المتحدة، من جهة أخرى، إلا بشائر الموسم الأولى.

بين اسرائيل واميركا شراكة غير متكافئة

لقد كان طبيعياً أن تبحث الحركة الصهيونية عن شريك لها، يعينها على تنفيذ